

كتب قرائها :

في غربال ميخائيل نعيمة

للاستاذ حبيب الزحلاوي

(تنمة ما نصر في العدد الماضي)

—»»»»»—

ويقول : « لكل ناقد موازينه ومقاييسه ، وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا في السماء ولا على الأرض ، ولا قوة تدعها وتظهرها قيمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه ، وقوة الناقد هي فيما يظن به سطروده من الإخلاص في النية ، والمحبة للمهنة ، والغيرة على موضوعه ، ودقة الذوق ، ورقة الشعور ، وتيقظ الفكر ، وما أوتي به بعد ذلك من مقدرة البيان لتنفيذ ما يقوله لمقل القاري ، وقلبه ... »

« لا يكون الناقد ناقدًا إذا تجرد من خلة « قوة التمييز الفطرية » تلك القوة التي تبتدع لنفسها مقاييس وأوزانًا ولا تبتدعها المقاييس والأوزان ، فالناقد الذي ينتقد « حسب القواعد » التي وضعها سواء لا ينفع نفسه ولا منقوده ولا الأدب بشيء . »

« ... نحن في حاجة إلى الناقد لأن أذواق السواد الأعظم منا مشوهة بخرافات رضعناها من ندى أمسنا ، وترهات اقتبلناها من كف يومنا ، فالناقد الذي يقدر أن ينتشلنا من خرافات أمسنا وترهات يومنا ، والذي يضع لنا اليوم حجة لندركها في الغد ، هو الرائد الذي سنتبناه والحادى الذي سنسير على خطاه . »

ويقول : « إذا لم يكن للناقد من فضل سوى رد الأمور إلى مصادرها ، وتسميتها بأسمائها لكفاه ذلك ثوابًا . إلا أن فضل الناقد لا ينحصر في التحخيص والشمين والترتيب ، فهو مبدع ومولد ومرشد ، مثلما هو محقق ومثبت ومرتب . »

« هو مبدع عند ما يرفع النقاب في أثر ينتقده عن جوهر لم يهتد إليه أحد ، حتى صاحب الأثر نفسه . »

هو مولد ، لأنه فيما ينتقد ليس في الواقع إلا كاشفًا نفسه . وهو مرشد ، لأنه كثيراً ما يرد مفزوراً إلى صوابه ؛ أو يهدي شاعراً ضالاً إلى سبيله .

« رب ناقد لم ينظم في حياته بيتاً ، ولا عرف ما في النظم

من مشقة الأوزان والقوافي ؛ ولا في لذة الفوز بها ؛ غير أن ذلك لا يبعوثه عن إدراك ما في الإفصاح عن عوامل النفس من لذ روحانية ، ولا يعميه عن تموجات الألوان في الرسوم الكلامية ولا يصمته عن رنة الألحان في مقاطع الألفاظ والمبارات .

والناقد في إمكانه الدخول إلى مستودع روح الشاعر ، وتنفذ غيباته إلى أن تتولد فيه حالة نفسية كالتي تخضع في الشاعر بتلك القصيدة ؛ فيصبح الناقد كأنه الشاعر وكأن القصيدة من وضعه .

« إن حظ الناقد من دهره قليل ، فهم لا يرضون قريباً من الناس إلا بأغضاب فريق آخر ، غير أن القوى بينهم - والقوى من أخلص النية - لا يحفل بمن يرضى وبمن يقضب ، لأنه يخدم غاية أكبر من رضا الناس وسخطهم ، ويتم وظيفاً هي من أهم وظائف الحياة ... »

ويضيف الأستاذ العقاد على هذا التعريف الشامل للناقد فيقول : « عمل الناقد تصحيح كثير من مقاييس الأدب ، وإن من يصحح مقياساً للأدب فقد يصحح مقياساً للحياة . »

« ... كلنا يتكلم عن الشعر ؛ بعضنا يؤله ، والآخر يمشقه والثالث يقرضه ، والرابع يقتات ويتنفس به ، هذا يشجذ ذاكرته بالملقات والوشحات والتخاليات والالنيات ، يرددها في وحدته ويتلوها على مسمع أصحابه ، وذاك يكتب القصيدة بعد القصيدة يستمد لأن ينشر درر أفكاره في « ديوان » ... فلا بدع فتجن من سلاية قومهم ، إذا مات منهم شاعر قام شاعر ... نحفل بالشعر لأنه لغة النفس وترجمان عواطفنا وأفكارنا ... » والشاعر هو نبي وفيلسوف وموسيق وكاهن .

نبي : لأنه يرى بيمينه الروحية مالا يراه كل البشر . ومصور : لأنه يقدر أن يسكب ما يراه ويسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام .

وموسيق : لأنه يسمع أصواتاً متوازنة حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجمجمة .

وكاهن : لأنه يخدم إلهاً هو الحقيقة والجمال .

« ... إن روح الشاعر تسمع دقات أنباس الحياة ، وقلبه يردد صداها ، ولسانه يتكلم « بفضلة قلبه » . »

« ليس الشاعر من يخلق عواطفه ويولّد أفكاراً ، إنما الشاعر

أشعة تلك الحياة في أشعاره ... لذلك يقال إن الشاعر ابن زمانه .
يطول بي القول إذا أشرت إشارات عابرة ، أو وقفت منهية
عند كل ما يستوجب الوقوف حياله من مواضيع هذا
الكتاب الذى لا تبلى جدته ، ولا تنصل ألوانه . ويكنى أن
أشير إلى موضوعات لامناص للأديب من قراءتها وإملاء الذهن
منها ، كموضوع « محور الأدب » و « الرواية التمثيلية المربية »
و « المقاييس الأدبية » و « الجباحب » و « تقيق الضفادع »
و « الزحافات والملل » فكلها موضوعات تشخص الأدواء ،
وتدأوى الملل ، وتهول بالبضع والشرط على الضعفاء من الشعراء
والكتاب .

من أوجه خصائص الأستاذ الكبير ميخائيل نسيمة أنه لم
يكن في « غرياله » الخالد موضوعياً بحثاً ولا ذاتياً بحثاً ، ولا
متشرعاً يسن السن ويقن القوانين ، بل كان « معلماً » وقف
فوق النبر وقد أخذته الفيرة على الأدب ، وثارت نخوة ، نخوة
الخائف على نهضة العصر أن تلوث في باكورة انبعاثها ، فراح
بصرخ صرخات الصدق والإخلاص ، ويشرح مؤلفات الأدباء
والشعراء المعاصرين ، على طريقة النزال لا الحصر ، ولم يكن
« مقلداً قط » بل كان « نيميما » أى نسيج وحده في القوة
والتمييز والابتداع والخلق والرفق والشفقة ، وما كان يقبض بمومها
أو ممالقا ، لأن الموه المالحق ليس بأديب ولا بمخلص للأدب ،
ولو كان من كبار الكتاب والشعراء والمؤلفين .

هيب الزهرلى

الدقة ، والسرعة ، والنظافة

والذوق ، واعتدال الأسعار...

كل هذا تجردونه في

مطبعة الرسالة

من يد أصابع وحيه إلى أغشية قلوبكم وأفكاركم ، فبرفع جانباً
منها ، ويحول كل أبصاركم إلى ما انطوى تحتها فتبصرون هناك
عواطف وتمثرون على أفكار ... هي أفكاركم ... ثم يترككم
وإياها تستجلون ألوانها ، وتضحصون معانيها ... عندها تستفيق
أنفسنا إذا شمعت برعشة الحياة في داخلها ، لأن الحياة فينا
لا خارجاً عنا ، وما التأثيرات التى تحدثها فينا الطيبة أو الحياة
الخارجية إلا منبه لاكن في داخلنا من العواطف والأفكار

« الشاعر ترجمان النفس والشعر لفنما ... خيال الشاعر
حقيقته ... الشاعر الذى يستحق أن يكون شاعراً لا يكتب
ولا يصف إلا ما تراه عينه الروحية ، ويختمر به قلبه حتى يصبح
حقيقة راهنة في حياته ولو كانت عينه المادية قاصرة عن رؤيته .
... بين شعرائنا المعاصرين الذين في شعرهم مدى ، أى قوى
التفكير والعاطفة والبيان ، شاعر أقل ما يقال فيه إن لشاعريته
وجهاً يميزها عن كل شاعرية ، ولألحانه رنة تعرف بها بين سائر
الألحان ، وفى كل ما ينظمه نكهة تختلف عن كل نكهة .
وبعبارة أخرى ، إن في شعره شخصية لا تندغم في شخصية أحد
من الشعراء ...

ما هو الشعر ؟ هو نسمة الحياة . والذى أعنيه بنسمة الحياة ،
ليس إلا انعكاس بعض ما فى داخل من عوامل الوجود في الكلام
المنظوم . والشعر الذى ينزل بفكرى إلى أغوار تحتها أغوار ،
ويملأ به إلى سماوات تلوح من ورائها سماوات ، ويفتتح لخليالى
آفاقاً خلفها آفاق ، ويفسح لماطفتى مدى يجرها إلى أمداء ، هو
الشعر الذى تستأنس به روحى ، وتفتتح له براءيم الحياة فى داخل .
ولابد للشعر من عاطفة وخيال يحمل من الشعر والموسيقى توأمين
ماهى الغاية من الشعر ؟ قوم يقولون إن غاية الشعر محصورة
فيه ولا يجب أن تتعداه « الفن لأجل الفن » وآخرون يقولون
إن الشعر يجب أن يكون خادماً لحاجات الإنسانية ، وإنه زخرفة
لا نمن لها إذا قصر عن هذه المهمة . ولهذين المذهبين تاريخ
طويل ... إنما نكتفى أن نقول إن الشاعر لا يجب أن يكون
عبد زمانه ورهين إرادة قومه . ولكننا نعتقد أن الشاعر لا يجب
أن يطبق عينيه ويصم أذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحىه
إليه نفسه فقط ، سواء كان لخير العالم أو لويله ، وما دام الشاعر
يستمد غذاء قريحته من الحياة ، فهو لا يقدر إلا أن يعكس